النبر

في اللفظ العربي

النبر في اللغة رفع الصوت يقال نبر الرجل نبرةً اذا تكلم بكلمةٍ فيها علوّ. والمراد بهِ هنا رفع الصوت بهجآءٍ من اهجئة الكلمة اما تزييناً للفظ او تقويةً لمعنًى من المعاني التي سيق الكلام لاجلها كالاستفهام والنفي والنهي وما اشبه ذلك والاول هو مقصودنا في هذا الموضع . ومن الغريب ان علمآء الادب لم يتعرضوا للكلام على احكام النبر مع انهم تكلموا على حرف الانكار وحرف التذكر وهما من قبيله ولعل السبب في ذلك انهم وجدوهُ طبيعياً في الناطقين بهذا اللسان على كونه لا يغير شيئاً من حقيقة اللفظ فلم يفردوا لهُ موضعاً في تصانيفهم . وقد وقفنا فيهِ على مقالةٍ طويلة للمسيو مايّر لمبّير احد علمآء المشرقيات خطب بها في المؤتمر الذي عُقد سنة ١٨٩٧ ونُشرت في مجلة الجمعية الآسَوية في باريز ذكر فيها بعد الاشارة الى ما تقدم من اغفال العرب لهذه المسئلة آرآء نفرٍ من جماعتهِ منهم دُساسي وكسپري وغيرهما فرأينا في تلك المقالة من الغرابة ما حدانا على تلخيصها لقرآء الضيآء ليقفوا على مبلغ علم أولئك « المستشرقين » باحوال الشرق ونوع بحثهم في استنباط الحقائق

وقد ذكر من رأي دساسي ما محصّلهُ ان النبر عند العرب لا يكون في الهجآء الاخير من الكلمة ولكن اذا كان الهجآء الذي قبلهُ مؤلفاً من حرفين ثانيهما حرف مدّ او صحيحٌ ساكن جُعل النبر عليهِ والا تخطّاهُ الى الذي قبلهُ . وعلى هذا فالنبرة في قولنا ضارب تكون على الضاد وفي يضرب على الياء

وفي منطلق على الميم . ولا يخفى ان هذا مع صحتهِ في غاية القصور لانهُ لا يتناول الا امثلةً قليلة من ابنية الكلم كما سيتضح لك مما سنذكرهُ

وخالفهُ كسپري في بعض هذا القول فذكر انهُ اذا كانت الكلمة ذات هجآء متعدد فان كانت مؤلفةً من هجآءين وكان الاول من كلمةٍ اخرى نحو بِكُمْ كانت النبرة على الهجآء الثاني. والا فان كان الهجآء الذي قبل الاخير ممدوداً بالطبع او بالوضع (كذا اي اذا كان مؤلفاً من حرفين ثانيهما حرف مدّ او صحيح ساكن) جُعل النبر عليهِ . وان كان الهجآء المذكور قصيراً اي غير متلوّ بساكن وكان ما قبلهُ ممدوداً نحو فَعَلْتُمَا كان النبر على ما قبلهُ. وان كان الذي قبلهُ ايضاً قصيراً وكان ما قبلهُ ممدوداً نحو مَسْئَلَتُهَا انتقل النبر ايضاً الى الممدود . انتهى تحصيلاً

وهناك اقوالٌ اخر اطال فيها من التفصيل والمقابلة بين مذهب وآخر بما لا يتسع هذا المقام لنقلهِ . قال وروى ميخاليس عن البروفسور نُرْدِبْرُخ وكان قد درس في القسطنطينية على رجلٍ مكي الاصل انهُ كان يوقع النبرة في نحو قتلوا وقتلَتا وقتلنا مما ختم بحرف مدّ على الهجآء الاخير قال ويخيَّل لهُ انهُ في بعض الكلمات نحو خُطَّتا كان يسمع النبرة مرّتين

قال صاحب المقالة وكل هذا يحقق لنا ان العرب اليوم ليسوا على بيّنةٍ من النبرة الصحيحة اذا قرأوا العربيّ الفصيح ولكنهم يجتزئون من ذلك بان يرفعوا صوتهم بالاهجئة الممدودة بالطبع او بالوضع. بل نحن انفسنا عند سماعنا تلاوة القرآن لم نكن نشعر بنبرٍ في الكلمات ولكن غاية ما هناك انهم يطيلون الصوت في احد اهجئة الكلمة والغالب ان يكون ذلك في

الهجآء الذي قبل الاخير. وبما ان كتب العربية الفصحى خاليةٌ عن بيان هذه المسئلة فلا يبقى الا ان نتفقد آثارها في العربية العاميّة غير انهُ فضلاً عما في اخذ احكام الفصيح عن العاميّ من التعرض للوهم فان العربية اليوم لا تُلفظ على وتيرةٍ واحدة في جميع البلاد الاسلامية وشاهدهُ ما نجدهُ من الفرق بين عربية مصر مثلاً وعربية الجزائر. وذلك ان عربية مصر على ما حكاهُ ڤُولّر يكون النبر فيها بالهجآء الاخير اذا كان ممدوداً وكذلك اذا كان الهجآء الذي قبل الاخير على نصف طول (كذا) أو كان قصيراً والذي قبلهُ غير قصير. واذا كان الذي قبل الاخير والذي قبلهُ كلاهما قصيرين كان النبر بالاول. واما عربية الجزائر فيطال الصوت فيها بكل هجآء ممدود نحو قاتل وفيل الا اذا كان حرف المدّ آخراً نحو دنيا وكتابي فلا يطال الصوت بهِ. والهجآء البسيط الذي لا يليهِ حرف مدّ نحو فَرَس وقَتَل يكون ابداً قصيراً. والكلمات التي تشتمل على هجآءين مركبين نحو إِضْرِبْ و بَلِّغْ تقع النبرة منهما على الاول والتي تشتمل على ثلاثة اهجئة مركبة نحو إِسْتَحفِظْ تقع منها على الثاني. واذا كان كلٌّ من الهجآءين ممدوداً نحو قالوا كانت النبرة على الاول

وافاض بعد ذلك في تفصيل لغتي مصر والجزائر فاطال بما لا طائل تحتهُ ثم قال ونحسب ان العربيّ لا يجد فرقاً بين ان نقول لهُ إِضْرِبْ او إِضْرِبْ اي مع النبر بالهمزة او بالرآء وكذا اذا قلنا لهُ مُسْتَقْبَل بين ان ننبر بالميم او بالتآء او بالبآء. قال وعلى كل حال فالعربيّ العاميّ لا يمكن ان يستفاد منهُ تحقيق لفظ الحركات في العربيّ الفصيح وحينئذٍ فلا يبقى لنا الا احد امرين اما ان نضرب عن مسئلة النبر في كتب قواعد العربية واما

ان نرجع بهِ الى قياس سائر اللغات الساميّة . ثم اخذ في بيان احكام النبر في الحبشية والعبرية فذكر انهُ يكون فيهما بالهجآء الذي قبل الاخير سواءٌ كان اللفظ مفرداً ام مركباً وفعلاً ام اسماً . قال لكن يبقى الاشكال في بعض الاحوال الخاصة التي لا وجود لها في تينك اللغتين كما في نحو يقتُلُ (اي بضم اللام) والذي عندنا ان النبرة فيهِ ينبغي ان تكون على الهجآء الاخير (كذا) . واما الكلم المنونة فهل يُنبَر فيها بالحركة الاخيرة او التي قبلها الراجح عندنا الثاني

وهنا ذكر كلاماً مضحكاً فزعم ان التنوين اصلهُ ميم وان هذه الميم مقتطَعة من لفظ « ما » فقولنا رَجُلٌ اصلهُ « رَجُلُ مَا » . قال وبحسب القاعدة المذكورة قبل (اي في نحو يقتلُ) يقع النبر على ضمة اللام فينبغي ان يبقى كذلك بعد حذف الالف وتحويل الميم الى نون . ثم استدلّ على صحة ما ذكرهُ بان الالف التي تُبدل من تنوين النصب ليست كذلك من اصل الوضع ولكنها تشير الى انهُ في زمنٍ من الازمان كان لفظ « اَنْ » الذي يُختَم بهِ المنوَّن المنصوب يُلفظ عند العامّة « اَ » وهذا الابدال لم يكن محتملاً لولا ان حركة النصب معها نبر (؟) . قال وكذا الحكم فيما رُكّب من هجآءين نحو أَمَا وكَمَا فان النبر انما يكون بأول الهجآءين لان كَمَا تصير بعد الحذف كَمْ وأَمَا تصير أَمْ . انتهى وهذا من اغرب ما جاء في هذه المقالة

وقد اطلنا على المطالع الى ما لعلهُ بلغ بهِ حد السأم وانما اوردنا هذا كلهُ على ما فيهِ من التعسف والابهام والخروج احياناً الى اللغو والخلط ليُعلَم

منهُ مبلغ ما عند أولئك القوم من التحقيق ولا سيما اذا تكلموا في احوال الشرق . ومن الغريب مع هذا انهم لا يعتدّون بشرقيٍّ ولا يرون ان لهُ مزيةً عليهم ولا رأياً حتى فيما يتعلق بخاصّة نفسهِ ووطنهِ فتراهم يفتئتون بالاحكام تخرصاً ومجازفةً وهم يرون انهم قد قتلوا الامور علماً . ولذلك لا نعجب ان نرى مثل هذا الكلام قد تُلي في مؤتمرٍ حافلٍ باكابر علمآئهم ونال من الاستحسان والاعجاب ما استحقّ بهِ ان يُنشَر في اشهر مجلةٍ قد أُرصدت لتدوين تاريخ الشرق وفلسفتهِ ولغاتهِ كما ذُكر في عنوانها ووُكل النظر فيها الى عدةٍ من مشاهيرهم مثل مّينار وجّانُوّ ومَسپِرُو وسائر رجال هذه الطبقة

اما حقيقة اللفظ العربيّ فيما يتعلق بالنبر المذكور فانهُ ولو لم يتعرض علمآء الأدب لتدوين أحكامهِ في كتبهم فلا شك أنهُ لم يكن يختلف في القديم عمَّا هو عليهِ اليوم في اللفظ العامّيّ بدليل اتفاق لغات العامّة فيهِ الاّ في احوالٍ خاصة مما سنذكرهُ . وذلك انك اذا استقريت لفظ الشام ومصر والمغرب وبلاد العرب لم تسمع النبر في الهجآء الاخير من الكلمة الاّ اذا كان بعد المتحرك منهُ ساكنان اما صحيحان كما في نحو قِطْر وزُنْجُفْر ومَرَدّ ومُستمِدّ او اولهما حرف علةٍ ساكن كاكرام ومضروب ومستفيد ويذهبون ويرضَوْن وتخشَيْن وما اشبه ذلك . واما ما سوى ذلك فان كانت الكلمة مؤلفة من هجآءين فقط مثل ضَرَب ورَمَى ويَضرِب وجَعفَر وقاتِل فالنبر يقع على الاول . وان كانت مؤلفةً من ثلاثة اهجئة فاكثر فان كان الهجآء الذي قبل الاخير مركباً اي مؤلفاً من متحرك فساكن مثل يستَغفِر ويقاتل واستقرّت واستعانوا كان النبر عليهِ . وان كان بسيطاً بان يكون حرفاً متحركاً فقط وكان

الهجآء الذي قبلهُ مركباً كما في مُنْطلق وجَحْمَرش ومَسْئلة واستَغْفِروا ومَرْجِي كان في لغة مصر كالذي سبقهُ وجُعل النبر في لغة غيرها على الذي قبلهُ . وان كان الذي قبلهُ بسيطاً ايضاً مثل ضَرَبَتْ وضَرَبُوا وسَمَكة وجَمَزَى ومثل اضطَرَبُوا وجَحْمَرشٌ بالتنوين وضَرَبَهُمْ ومسئلتي ومسئلتُها كان النبر عليهِ في لغة الجميع

فتحصَّل من كل ما ذُكر ان النبر ينحصر من الكلام في الاهجئة الثلاثة الاخيرة فيكون على الاخير اذا اجتمع فيهِ ساكنان وعلى الثاني اذا كانت الكلمة ذات هجآءين فقط او كان الهجآء الذي قبل الاخير مركَّباً وعلى الاول اذا كان الهجآءان الاولان بسيطين. ولا خلاف الا فيما كان على ثلاثة اهجئة فاكثر وكان الذي قبل الاخير منها بسيطاً والذي قبلهُ مركباً ففي لغة مصر يكون النبر على الثاني وفي غيرها يكون على الاول . وعليهِ ففي نحو مقام ومضروب ونستعين ويستغفرون وهم المهلَّبيُّون والمستعصميُّون يكون النبر على الهجآء الاخير. وفي نحو ضَرَب ودحرج ويقاتل ويستغفر يكون على الهجآء الذي قبل الاخير. وفي نحو ضربوا واجتمعوا ومسئلتي ومسئلتهم ومسئلتُها يكون على الثالث مما قبل الاخير. وفي نحو منطلق ومنزلة وسُمَّهَى ومقامُها وقمَطْرُكم ويستمدُّهم ويخشَونَني يكون في اللغة المصرية على الذي قبل الاخير وفي غيرها على الذي قبلهُ ولا خلاف في غير ذلك . ولا يبعد ان هذا الخلاف نفسهُ كان عند العرب ايضاً فكان بعضهم على احدى اللغتين وغيرهم على اللغة الاخرى فيكون كلا الوجهين صحيحاً والله اعلم